إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله؛ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد؛ فيقول ربنا – سبحانه وتعالى – ممتنا على عباده: **{ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين}**. إن اللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه العجيبة؛ صغير حجمه، عظيم طاعته وجرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان.

باللسان يطاع الله وبه يعصى؛ قال نبينا – ﷺ –: (**الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض**) رواه مسلم. وفي الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي – ﷺ –: (**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**). وعند الترمذي عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – مرفوعا: (**وهل يكب الناس في النار على وجوههم – أو قال على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم**).

اللسان رحب الميدان، ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى وحد، فمن أطلق عذبة لسانه وأهمله؛ سلك به الشيطان كل مسلك، وساقه إلى جرف هار. وقد تساهل كثير من الخلق في الاحتراز من آفاته وغوائله، والحذر من مصائبه وحبائله. قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –: (والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان). وقال الحسن البصري – رحمه الله –: (ما حفظ دينه من لم يحفظ لسانه). ولا نجاة من ضرر اللسان إلا بالعمل بوصية نبينا – ﷺ –: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**).

وبناء على ما ذكر، وقياما بما افترض الله على عباده من تعظيمه وتنزيهه، وأداء للأمانة، وإبراء للذمة؛ فإني أنذر وأحذر، وأعلم قوما وقوما أذكر؛ أنذركم عاقبة ذنب فشا أمره، وعظم خطره، وشاع ضرره، وأحذركم – عباد الله – من قول فشا وهو جد قبيح، بل هو بالاتفاق كفر صريح، ألا ذلكم ما فشا وشاع، وانتشر وذاع، على ألسنة كثير من الفسقة الرعاع، من التجرئ بالسب على الواحد القهار، والتطاول باللعن على الملك العزيز الجبار، سبحان الله وتعالى عما يقول الفساق والفجار.

عباد الله؛ لا يخفى عليكم ما انتشر على ألسنة كثير من الفسقة في هذا الزمان من سب الله – تعالى – ولعنه، حتى صرت لا تسلم من سماع هذا الكفر؛ لا في طريق ولا في سوق ولا في مدرسة، بل حتى في بعض بيوت المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ويح أولئك! أما علموا من يسبون، أما عقلوا ما يقولون، أيسب المرء خالقه ورازقه، ومدبر أمره ومالكه، أيسب من بيده ملكوت كل شيء وهو يعلم السر وأخفى؟! أيجترئ على من له الأمر من قبل ومن بعد؟! فوا أسفا.

سبحان الله؛ أما علم ذلك الساب الفاسق المفتون، الخبيث المأفون؛ أنه يسب ربه الذي إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون؟! أولى لهم فأولى، ثم أولى لهم فأولى، أفأمنوا أن ينزل عليهم عذاب من الله شديد، أفأمنوا غضب العزيز الحميد، أما علموا أن اللسان هبة من الكريم المنان، قبح الله ذا العقوق والكفران.

اعلم – يا عبد الله – أن سب الله – تعالى – أعظم الآثام على الإطلاق، إذ هو كفر أكبر بالاتفاق؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهرا وباطنا؛ سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلا له، أو كان ذاهلا عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة؛ القائلين بأن الإيمان قول وعمل). وقال القاضي عياض: (لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر). وقال ابن عبد البر – رحمه الله –: (قال إسحاق – يعني ابن راهويه –: وقد أجمع المسلمون أن من سب الله – ﷻ –، أو سب رسوله – ﷺ –، أو دفع شيئا مما أنزل الله – تعالى –، أو قتل نبيا من أنبياء الله – تعالى –؛ أنه كافر بذلك وإن كان مقرا بكل ما أنزل الله). وقال ابن قدامة – رحمه الله –: (ومن سب الله تعالى كفر؛ سواء كان مازحا أو جادا).

ولقبح هذا الفعل جاءت الشريعة بسد الذرائع المفضية إليه؛ قال ربنا – ﷻ –: **{ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله**

عدوا بغير علم}، فنهى الله – سبحانه – المسلمين عن أمر مشروع في الأصل، وهو سب آلهة المشركين التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها، ولكن لما كان هذا السب طريقا إلى سب المشركين لرب العالمين، الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب وسب وقدح؛ نهى الله المسلمين عن سب آلهة المشركين سدا للذريعة المفضية إلى سب الله – تعالى –، ولو كان هذا السب من المشركين، فما ظنكم بمن يسب الله – ﷻ – ممن يدعي الإسلام. ما ظنكم عباد الله بمن يسب الله – ﷻ – ويلعنه؛ وربنا – سبحانه – يقول في شأن اليهود والنصارى الذين نسبوا لله الولد: **{وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئتم شيئا إدا. يكاد السموت يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. أن دعوا للرحمن ولدا}**؛ فإذا كادت السموات أن تنفطر، والأرض أن تنشق، والجبال أن تخر؛ لعظم فرية اليهود والنصارى ومشركي العرب إذ نسبوا لله الولد؛ فكيف هو الحال مع ما آل إليه أمر كثير من المنتسبين للإسلام زورا من التصريح بلعن الله – ﷻ – وسبه، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

رويدك يا من أطلقت لسانك بسب ربك ومولاك، أما علمت أنك ميت لا محالة، أنسيت الموت وسكرته، والقبر وظلمته، والحساب وشدته، أما علمت أنك ستقف بين يدي ربك الذي تسبه، فأخبرني – بالله عليك – بم تجيبه إذا سألك: عبدي؛ لم تجرأت علي بالسب والطعن؟ لم بارزتني بالاستهزاء واللعن؟ قال ربنا – سبحانه –: **{إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا واءلاخرة وأعد لهم عذابا مهينا}**. أما علمت أنها جنة ذات نعيم مقيم، أو نار ذات عذاب أليم؟!

ألا فليعلم من خلع ربقة الدين، وتجرأ بالسب على رب العالمين؛ أنه إن مات على ما هو عليه قبل أن يحدث توبة نصوحا، ويدخل في الإسلام بعد إذ خرج منه؛ فإنه سيخلد في نار جهنم، ووالله وتالله وبالله لن تنفعه صلاة ولا زكاة، ولا صوم ولا حج، ولا بر ولا صلة؛ ما لم يقم أصل الدين وركنه؛ تعظيم الله – ﷻ – وتنزيهه وتوحيده.

ولا تغتر – أخي – بشبه لا أصل لها؛ فتقول: إنما هي كلمة أقولها، والإيمان في القلب، فإن الإيمان قول وعمل، وكما أن الإيمان يكون بالقلب ويكون بالجوارح؛ فكذلك الكفر؛ يكون بالقلب ويكون بالجوارح. كما أن فساد الظاهر دليل على فساد الباطن، ولو صلح قلبك لصلح لسانك، فاتق الله – ﷻ –، وزن ما تحرك به لسانك قبل أن تخرجه من فيك، ففي سنن ابن ماجه بسند صحيح عن علقمة بن وقاص قال: سمعت بلال بن الحارث المزني صاحب رسول الله – ﷺ – يقول: قال رسول الله – ﷺ –: (**إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت؛ فيكتب الله – ﷻ – له بها رضوانه إلى يوم القيامة. وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت؛ فيكتب الله – ﷻ – عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه**). قال علقمة: (فانظر – ويحك – ماذا تقول وماذا تكلم به؛ فرب كلام قد منعني أن أتكلم به ما سمعت من بلال بن الحارث).

قال القاضي عياض – رحمه الله –: (وأما من تكلم من سقط القول، وسخف اللفظ؛ ممن لم يضبط كلامه، وأهمل لسانه؛ بما يقتضي الاستخاف بعظمة ربه، وجلالة مولاه، أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته، أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه، غير قاصد للكفر والاستخفاف، ولا عامد للإلحاد؛ فإن تكرر هذا منه وعرف به؛ دل على تلاعبه بدينه، واستخفافه بحرمة ربه، وجهله بعظيم عزته وكبريائه، وهذا كفر لا مرية فيه). انتهى كلامه – رحمه الله–.

فرفقا – أيها الساب – بنفسك، فوالله لقد ركبت مركبا صعبا، واقترفت فعلا لا قبل لك بعواقبه، فأسرع – ويحك – إلى ربك، واقرع أبواب التوبة، واسكب دموع الندم، وأقر بجهلك وقبح صنعك، واطلب العفو من ربك؛ فإنه – لعظيم كرمه وواسع فضله – يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها، وفي الحديث: (**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**). أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله العزيز الجبار؛ الملك الواحد القهار. وأشهد أن لا إله إلا الله؛ مكور الليل والنهار، عالم الجهر والإسرار. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ونبيه المختار، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وصحبه الكرام الأبرار، ومن اتبع سبيله واهتدى بهداه على مر الدهور والأعصار.

أما بعد؛ فقد ذكر القاضي عياض واقعة حدثت في الأندلس؛ وذاك أن رجلا قال كلمة فيها تعريض بسب الله – تعالى – ، فأفتى ابن حبيب وأصبغ من فقهاء المالكية بقرطبة بقتله، وقال ابن حبيب: دمه في عنقي؛ أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له؟ إنا إذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين. فإذا كان هذا هو الحكم فيمن عرض بسب الله – ﷻ – بلا تصريح؛ فكيف الحكم فيمن صرح بسب الله – تعالى –، بل كيف يكون الحكم على من اعتاد لسانه سب الله – سبحانه – صباح مساء، جدا وهزلا، عمدا وخطأ، فإياك – أخي – والتماس الأعذار لقوم أعمى الله بصائرهم، وطبع على قلوبهم، وأملى لهم وأضلهم؛ اتخذوا سب الخالق ذريعة لسب المخلوق، ألا قبح الله سعيهم، بحسبهم من الكفر استهزاؤهم بالله – ﷻ – واستخفافهم باسمه – سبحانه –، أما سمعت قول الله – سبحانه –: **{قل أبالله وءايته ورسوله كنتم تستهزءون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}**.

ثم اعلم – أخي – أني لا أخاطب بكلامي هذا أولئك النفر المعتدين على ربهم – ﷻ – بالسب واللعن فحسب؛ بل إني أخاطب كل من سمعني من المسلمين؛ قال ربنا – سبحانه –: **{أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكفرين أمثالها}**، فإني أقسم بالله؛ بارا غير حانث؛ أن فشو هذا المنكر العظيم سبب رئيس فيما ينزل بالمسلمين من بلاء، وفيما يحل بديارهم من شقاء، وإنا – والله – مع انتشار هذا الكفر وفشوه في المجتمع لا نأمن أن يخسف الله بنا الأرض، أو يسقط علينا كسفا من السماء، أو يهلكنا بعذاب من عنده؛ ففي سنن الترمذي عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – ﷺ –: (**يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**)، قالت: قلت: يا رسول الله؛ أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (**نعم؛ إذا ظهر الخبث**). فاعلم – أخي – أنك مسؤول عما انساق إليه المجتمع من تساهل مشين بهذا القول القبيح والكفر الصريح، فينبغي – أولا – لكل مسلم آمن بالله ربا، ووحده وعظمه، أن ينتصر لربه، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حري بك يا من تعظم الله – ﷻ – أن تنهى عن هذا المنكر العظيم ما استطعت إلى ذلك سبيلا؛ في بيتك وعملك، وحيك ومدرستك، بالحكمة والموعظة، والترغيب والترهيب، بما يحقق المصلحة، ويضيق من انتشار هذا الشر المستطير، والداء الخطير؛ عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال: يا أيها الناس؛ إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضعها الله: **{يأيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}**، سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: (**إن الناس إذا رأوا المنكر بينهم فلم ينكروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه**). أخرجه أحمد وأصحاب السنن.

ثم إنه ينبغي لكل أب، وكل معلم مرب أن يتعاهد من تحت رعايته من النشء بالتربية الإسلامية، عظموا الله – ﷻ – في نفوس أبنائكم وبناتكم، ازرعوا محبة الله – سبحانه – وتنزيهه في قلوبهم، ربوهم على خشية الله – ﷻ –، والطمع في عظيم ثوابه، والحذر من أليم عقابه، واحرصوا أشد الحرص على انتقاء رفقائهم وخلانهم، فالمرء على دين خليله. ثم عظموا – عباد الله – ربكم، واعرفوه، واقدروه حق قدره، فوالله ما عرف الله من سبه، ووالله ما آمن بالله من لعنه.

{بسم الله الرحمن الرحيم. سبح لله ما في السموت والأرض وهو العزيز الحكيم. له ملك السموت والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. هو الأول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. هو الذي خلق السموت والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير. له ملك السموت والأرض وإلى الله ترجع الأمور. يولج اليل في النهار ويولج النهار في اليل وهو عليم بذات الصدور}.